اجتهادات
عودة إلى أصل الصراع

كثيرة التحولات التى ترتبت على تصاعد الصراع الفلسطينى–الإسرائيلى منذ تفاقم أزمة تهجير أهالى حى الشيخ جراح بالقدس واقتحام المسجد الأقصى، وحتى وقف إطلاق النار بين قوات حكومة نيتانياهو وفصائل قطاع غزة. غير أن التحول الأكثر أهمية وجذرية هو دخول فلسطينيى 1948 الصامدين فى أرضهم فى قلب الصراع للمرة الأولى منذ النكبة قبل أكثر من سبعة عقود. احتجاجات فى عدد كبير من المدن الفلسطينية وأخرى مختلطة وراء ما يُعرف بالخط الأخضر، ومواجهات عنيفة خاضها شباب خرجوا لنُصرة أهلهم فى القدس وغزة ضد خليط من الجنود الإسرائيليين والمتطرفين الصهاينة. مشاهد غير مسبوقة فى اللد، والرملة، والناصرة، وشفا عمر، ويافا، وأم الفحم، ومجد الكروم، وطمرة، وعين ماهل، وعرابة، وكفر قرع، وجلجولية، وكفر مندا، وغيرها. صب قتل شاب فلسطينى فى اللد، وآخر فى أم الفحم، مزيدًا من النار على صراع بقى كامناً فى هذه المدن والبلدات وغيرها. لم يكن كمونه تحت السطح دليلاً على انتهائه، بخلاف ما تخيله إسرائيليون حالت غطرستهم دون إدراكهم طبيعته, فلم يفهموا أنه صراع اجتماعى ممتد، وليس مجرد صراع سياسى أو عسكرى. يعود الفضل إلى أستاذ العلوم السياسية الأمريكى- اللبنانى إدوارد عازار فى بلورة مفهوم الصراع الاجتماعى الممتد، ونظريته، قبل أن يساهم آخرون فى تطويرهما. وهذا النوع من الصراع هو الأكثر تعقيدًا وامتدادًا عبر الزمن، لأنه يدور بين جماعتين اجتماعيتين لكل منهما هويتها, برغم أنه لا يبقى مشتعلاً طول الوقت.

وهذا حال الصراع الفلسطينى-الإسرائيلى، كما شرحه عازار بمشاركة بول جريدين ورونالد دى مكلورين فى دراسة رائدة عنوانها (الصراع الاجتماعى الممتد: النظرية والتطبيق فى الشرق الأوسط) نُشرت فى فى خريف 1978. أساءت الحكومات Journal of Palestine Studies الإسرائيلية المتوالية إدارة هذا الصراع، وأدت سياساتها العدوانية المتزايدة إلى تقوية ركائزه، وتصور أركانها أن فى إمكانهم القضاء على الهوية الفلسطينية0 ولا يتخيل قادة الحكومة الحالية والأجهزه العسكرية والامنية أنهم يأخذون الكيان الذى ظنوه مُحصنًا إلى مصير قد لا يخطر لهم على بال, ويدفعون باتجاه أهم تحول يشهده الصراع منذ 1948.